

بين العقاد والرافعي للأستاذ سيد قطب

كنت قد أعددت هذه الكلمة قبل أن أقرأ كلمة الأستاذ سعيد الريان الأخيرة ، ومقدمته لها . فلما قرأتها لم أجد أن أغبر في كلتي شيئاً ...

وبني أن الأستاذ يقول عما كتبت : « ومع ذلك فإن ما أتى به من النقد ليس بشيء عندنا » . فانت كان يعني في الحكم أن يقول الإنسان هكذا فيكون ذلك قضاء ، فانتا — على طريقته — لا تتكلف أكثر من حذف أداة النقي فنقول : هو « (بشيء) عندنا » وبذلك تنتهي !

وبني أنه عرض بي في ثانياً مقاله بعد ما تخلي عن الرد وقال إنه مؤرخ .. تمرىضا غير لائق . فامثلي بمن يحتاج لمن يفهمه أدب الرافعي وليس فيه شيء لثني غير مفهوم ، وما هو بصاحب طريقة في الفكر والفن ، إنما هو صاحب طريقة في التعبير ، وأنا أحد الاخصائيين في اللغة التي يعبر بها

على أن هناك ما يضح حداً للجدل . أليس الأستاذ سعيد الريان يفهمه ؟ . بلى . فأننا إذن من باب أولى أفهمه .

سيد قطب

— ٣ —

—>>><<<—

حين قال الأستاذ سعيد الريان عن نقد الرافعي لرحى الأربعين : إنه بلغ فيه ذروته ، وجمع كل فنونه ، كان صادقاً في قوله ، وكنت مخطئاً في الاعتراض عليه ، كما انضح لي الرأي في هذا الأسبوع الأخير !

وحين قلت : إن الرافعي أديب « الدهن » لأديب « الطبع » وأنه ينقصه « القلب » المهيأ للحب ، وأنه لا يمتيه إلا أن يصور الحقائق الوقتية الصغيرة في صورة خلاصة ، لم يكن هذا المعنى واضحاً محددآ في ذهني كما انضح في هذا الأسبوع الأخير !

وحين ذكرت أن الرافعي ذكي ، قوى الدهن ، كنت متساعماً جد التسامح أو مبالغاً جد المبالغة ، ولم أعلم ذلك كـ علم الأسبوع الأخير ! وإليك البيان ...

حيناً أمسكت بالقلم لأكتب الكلمة الأولى بهذا العنوان ، كان في ذهني ونفسي صدى مطالعاني القديمة للرافعي ، وهو صدى غامض يدل على الجملة ، ولا يعد الناقد بالتفصيل .

وحينما كتبت الكلمة الثانية ، لم يكن بين يدي إلا نقد لرحى الأربعين ، فأبدت رأيي فيه كما رأي قراء الرسالة

ولكنني حين رحت أتلس الأمثلة من بعض كتب الرافعي وأخترت أن أبدأ « رسائل الأحران » ، اصطدمت بالرافعي من جديد ، واختلف الصدى الغامض القديم ، عن الصوت الواضح الجديد . (أحسست صدق الأستاذ سعيد في نعمته لنقد وحي الأربعين ، فإنه — على ما به — في الدروة من نتاج الرافعي كله كما قال !

وأحسست أنني أخطأت في عدم تحديد « الدهن » الذي قلت إن الرافعي يصدر عنه في أدبه ، فن الدهن ماهو سليم أو مريض ، وماهو مشرق أو غابر ، وما هو متفتح أو مغلق ... إلى ما لا نهاية له من ألوان الأذهان !

وأحسست أنني خدعت في « قياس ذكاء » الرافعي ، ومعرفة طبيعته ودرجته ، حتى ردتني إلى القياس الصحيح « رسائل الأحران » ! وإني لأحس بالنقص في هذا التراجع ، فيمزييني عنه « المصدق » الذي أعبر عنه حين أنصت لاحتسامي وأمسور حقيقة رأيي .

الرافعي أديب الدهن ، ولكنه الدهن اللتوي المماطل المداخل الذي لا يستطيع أن يسلك أقرب طريق إلى ما يريد ، بل يتخذ الدروب والنحنات ، ويلتف حول نفسه ، ويمصر نفسه ، مرة ومرة ، قبل أن يصل إلى الحقيقة الهينة الصغيرة ، التي تعثر بها الأذهان المستقيمة مدى ذراع .

والرافعي يصدر في أدبه عن ذكاء ، ولكنه ذكاء اللوحة والومضة ، لا ذكاء الاشراف والصفاء . الذكاء الذي يجبط بجناحه هنا ، ويجبط بجناحه هناك ، فيهيء للناظر أنه يرفرف ويطيير ، والواقع أنه مكب على الثرى ، وماهى إلا خفقات الجناح

والرافعي في رسائل أحرانه يتراعى كأنما يتمطى في أغلال ، أو يتزى في وفاق ، يحاول أن يتفلت من هذا وتلك ، وهو يُنفض رأسه ويضرب بقدميه ، ويضرس أنيابه ، في حركات عصبية ، ليخلق اللفظة بعد اللفظة ، والجملة بعد الجملة ، والخطاطرة بعد الخطاطرة ، في جهد وعناء .

وإنك لتسأل بعد قراءتها : أهذه رسائل حب ؟ أو ذكرى حب ؟ وأنت خليق أن تعتقد فيها الإنسان قبل الفنان

إسمع قصيدة صدر بها أحد كتبه ولا شك أنه ممحب بها ،
إسمع الشعر الذي يعجب من ينقد شعر العقاد في الحب :

من لمحب ومن يعينه ؟ والحب أهناه حزينه
أما ما عرفت سوى قسا وته فقولوا كيف ليته
إن يقض دين ذوى الهوى فأما الذى بقيت ديونه
قلبي هو الذهب الكرى يم فلا يفارقه رنينه
قلبي هو الألباس بعد رف من أشمته ثمينه
قلبي يحب وإعسا أخلاقه فيه ودينه

فهذا الشاعر الذى ينقد شعر العقاد في الحب ، هو الذى
يعجبه ما يقلد من شعراء الدول المتتامة والماليك في مصر ،
وشعراء أواخر العهد العباسى فنسمع رنين شعرهم في :

« إن يقض دين ذوى الهوى فأما الذى بقيت ديونه »
يعجبه هذا الذى لا يرتفع مستواه الفنى على أن يذكر
« قلبه » في سوق « المجوهرات » من الذهب والألباس ، معتقداً
أن تلك « المعادن » أثنى من « القلوب » لأنها تقوم بالمال
الكثير في السوق

وما عن نهكم أصدر في هذا التعبير ، فهي حقيقة تبرزها
الأمثلة الكثيرة في « الرسائل » وسيأتى هذا في موضعه
أما القصيدة بعد هذا نقطة متبرية ، لا تعرف إن كان
صاحبها محباً حياً يثير الحب في نفسه وأعصابه دفعات الحب ،
ويبه خواجه وخواطره ، ويعمق إحساسه بالحياة ، ويضاعف
شموره ، أم إنه واعظ يدعو في جفاف وجفوة إلى « عدم الاعتداء
على الأعراض » بأسلوب لا يتصل بالقلوب ، كمظم خطباء
المساجد في هذه الأيام :

يا من يحب حبيبته وبطنه أمسى يهينه
وتعف منه ظواهر لكنه نجس يقينه
كأنف غطته الزهو ر وتحتة عفين دفينه
ماذا يكون هوالك لو كل الذى تهوى بكونه
دع في ظنونك موصفاً إن الحبيب له ظنونه
وحذ الجليل لكي تربى الحسن فيه بما يزينه

إن تغلب لص العفا فلن تحب فن أمينه
الح... الخ
ولعل أصدقاء الرافى في نشوة حين يطالهم بهذه الصورة
الذهنية :

كأنف غطته الزهو ر وتحتة عفين دفينه
ولكن أين هذا أيها « الأحياء » في عالم الحب الحى ، وإن
هو إلا « اللعب على الحبل » في هذا الميدان ؟

نم ماذا ؟ نم إسمع الشاعر الذى لا يعجبه شعر العقاد في الحب :
حسناء خالقها أم جلالها سألته معجزة الهوى فأملها
لما حبها الله جل جلاله بالحسن منفرداً أجل جلالها
تضنى المحب كأنما أجفانها ألفت عليه فتورها وملأها
هيفاء قد شب النسيم قوامها غصناً فإن خطر النسيم أملها
سبالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها
هكذا نعود إلى شعراء الدول المتتامة في التكلف والمغنى
المطروقة التى يباع كل عشرة منها بقرش في هذه الأيام ، ولا ترتفع
عن « الأجفان التى تانى على الحب فتورها وملأها » ، ولا عن
« النسيم الأعمى أو الأعم أو الثقليل الحس الذى يحسب المحبوبة
غصناً ، لهما أو صممه أو ثقل حسه ، فيميلها عند ضروره !

وهكذا لا ندخل أبداً في زجة الحياة وتياراتها ، ولا نحس
الحياة في خالجة أو خاطرة ، ولا « نعيش » في هذا الحب عيشة
الأحياء الذين يتأثرون بحسهم وأعصابهم وخواجهم بجانب
أذهانهم ، أو حتى الأحياء الذين تلتفت أذهانهم وحدها إلى صور
الحياة وأشكالها ، ودوافعها وأمواجها ولو لم يندمجوا فيها ،
ويتأثروا بها !

ولكن لا ، فقد كبنا التفاته ذهنية رخيصة ، لا يل التفاته
عرفية أو كلامية ، فإن هذه الجيبة لما « انفردت » فكانت لها
صفة « الوجدانية » في الحسن « أجل جلالها » الله « جل جلاله »
فليلق بالهم إلى ذلك علماء « الكلام » ، فاكذب إلا لهم
وحتى لا تفهم أن الشاعر قديم ، اقرأ التجديد الذى تندق
دونه الأعناق !

سبالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها
أبعد « الكهرباء » وهى آخر ما كشف من قوى الطبيعة
قولة لقائل من المجددين الذين ينقد الرافى النقد الشديد ؟

التصور من ألوان الامتياز الوجداني في هذا الأعرابي
ولكن صاحبنا لا يرى في هذا إلا أن « الشمس على حائطها
كالشمس على البلور الصافي ، لا على الحجر والمدر »
فدار الجلال إذن هو نفاسة ما تطلع عليه الشمس ونعنه
في السوق ، ولا شك أن البلور أغلى من الحجر والمدر !
ولله هو أو أحداً من أصدقائه لا يستطيع أن يصدق أن
الشمس على « الحجر والمدر » الرخيصين أجل ؛ أو على الأقل
قد تكون في وضع ما أجل من الشمس على « البلور » الغالي
الثنى ، وذلك عند « الطبع » الحى ، الذى يعيش في الحياة الرحبة ،
لا في سوق المجوهرات !

واسمع ... في رسالة أخرى :
« ثم يجرى كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الكوثر في
رياض الجنة ، حافته من ذهب ، ويجراه على الدر والياقوت »
أرأيت ؟ الذهب والدر والياقوت !
ولا يتشكك صاحبنا في أن النهر الذى حافته من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت أجل من النهر الذى حافته من المشب
الأخضر ، ومجراه على الرمل والطين .
لا يلتفت إلى أن الأول مصنوع قد يبهج العين لحظة ثم
لا تحس وراءه حياة ، ولا معنى أعمق من ظاهره ، فتمله النفس ؛
أما الثانى فهو لا يأخذ « الدين » بالبريق والوهج ، ولكنه بملأ
« النفس » بالروعة والجمال ، ويتيح لها التأمل العميق في الطبيعة ،
والاندماج بين الحياة الجارية في النهر والحياة الجارية في النفس ،
لقرب النشأة والتكوين
لا لا . قالمهم هو البريق الذى يخلب الحس ، والأهم هو
« السر » المقدر للياقوت والطين . وشتان شتان !

وبعد فقد كان في هذه الأمثلة الكفاية لتوضيح نظرتى
في الرافى والبرهان عليها ، وكل مثال بغني عن سواء . وقد
تعمدت أن أختارها من اللغات الصغيرة الخاطفة ، ومما يستجد
عند مدرسته ، وهى أدل على طبيعة الذكر ومعدن الذهب
ولكن لدى أمثلة في نهج آخر يؤدى إلى النتيجة نفسها ،
وموعدى مع قراء الرسالة في ذلك كلمة أخرى بعد أن طال
هذا المقال

مير قطب

(حلوان)

فن يكن في شك أو ظل من شك فليقرأ ، ليعرف أنها لم
تكن خطرة عابرة في التجديد ، وإنما هى عن تعمد وسبق إصرار
بانجمة أنا في أفلاكها قر من جذبها إلى قد أضللت أفلاكى
هناك الكهرباء ، وهنا الجاذبية ، أبعد هذا يكون شك أو ظل
من الشك ؛ لا . وألف مرة لا !
ولا شئ وراء هذا البعث الذى لا يريد له نقاشاً وإن كان فيه
— لو شئت سلوك طريقة الرافى في النقد — مجال لمشرات
الغمزات والتهكمات

وقد قلت لك : إن الرافى يغالى « بالمجوهرات » فاسمع :
يقول للصديق المفروض أن هذه الرسائل تكتب إليه . إنه
سيقص له قصة حبه لا بالترتيب
« فإن هذا مما يحسن في تاريخ صخرة تتدحرج ، أما أنا
فسأقدم لك تاريخ أوّلوة فريدة »

ولست أدري الفرق لدى الفنان « الحى » بين أن يقص
تاريخ صخرة وتاريخ أوّلوة إلا أن يكون « الثمن » هو الفارق بينهما .
أنهم أن يقول : « إن هذا مما يحسن في تاريخ صخرة ، أما
أنا فسأقدم لك قصة حياة . أو قصة بنية حية يدخل في تأليفها
ودوافعها شئ غير الزمان والمكان ، هو الحس والشعور . أو تاريخ
نبته تنمو من داخلها أكثر مما تنمو في خارجها » أو أى تعبير
آخر يدل على أن القائل يستشعر الحياة في أعماقها ، أو ظواهرها
على الأقل ، ويرى « القلب » شيئاً حياً ، جماله في حياته ، وإن
لم يقوم في سوق المجوهرات بمشر ماسة أو قطعة صغيرة من
الذهب ! ثم اسمع : يقول في إحدى الرسائل : « أما سمعت
بذلك الأعرابي الذى قيل له : ما بلغ من حبك لفلانة ؟ »
فقال : والله إنى لأرى الشمس على حائطها أحسن منها على
حيطان جيرانها ... ، قد والله صدق وبرت عيني « فإن في كنهه
الشعرية لأثر من « عيني » ، إذ يرى الشمس على حائطها
كالشمس على « البلور الصافي » لا على الحجر والمدر »

إن الأعرابي ليرتفع إلى الدروة الفنية في قوله الماذجة ،
ويجئ إليك الحياة المشرقة في « ضميره » ، — لا عيني
وحدها — وهو ينظر إلى الشمس على حائط حبيته ويكشف
عن « الخصومية » الدقيقة التى ترى « شمس حبيته » وكأنها
خلقة خاصة بها لا يشاركها فيها سواها ... الخ ما يتسع له